مبحث تمهيدي
حب الأوطان من الإيمان

الأوطان هبة القدر الأعلى للإنسان ، فالوطن قلب وجسد ، عاطفة وعقل ، سماء وأرض ، هو الشعور بالحنين إلى ثرى غرست فيه شجرة العمر، ونضجت حتى آتت أكلها بإذن ربها ، فمقولة حب الوطن من الإيمان التي اشتهرت على ألسنة الناس عامتهم ونخبتهم كلمة صادقة ؛ بل هي ظاهرة صحية على صحة الإيمان في وجدان هذا الإنسان ؛ لأنه يوافق الفطرة السليمة التي فطر الله عليها المخلوقات جميعا ، فترى الطيور المهاجرة تقطع آلاف الأميال بعيدة عن الأوطان، وعلى الرغم من بعد المسافات إلا إنها تهتدي إلى أوكارها بغريزتها التي أودعها الله فيها .

والهجرة النبوية دليل صدق على أن حب الأوطان من الإيمان ، فقد ذكر لنا التاريخ الإنساني أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة ؛ نظر إلى وطنه الأول مكة ، والعبرة تتجمد في مقلتيه ، وسيل هائل يتدفق من الذكريات في وجداناته ، وأسئلة حائرة تدور في خلده ، ماذا بعد فراق الأهل ؟

والحزن يخيم عليه من كل جانب ، ولغة الصمت تسود أوديته ، يعيش في وادي من الذكريات حلوها ومرها من الأيام الخوالي له في مكة .

فمكة على الرغم من الاستبداد السياسي الوثني الغاشم من صناديد الكفر للمد الإسلامي الزاحف من ثراها، إلا إنها لم تزل تحمل في جنباته ذكريات ما مضى من العمر، وفؤاده مودع فيه من طاقات التحمل ما يصمد به أمام صلابة الجبال،

وعثرات الطرق الوعرة المليئة بالأشواك، والأمل لم يزل قائما في غرس نبت التوحيد ورعايته حتى يثمر، ويزهر ويظلل على بني الإنسان، ويخرجه من ظلمة التيه إلى نور الحقيقة، ومن عثرة التخبط في الطرقات الوعرة إلى استقامة السير نحو النور الحقيقي للإنسان .

فمكة بالنسبة له ليست وطنا كسائر الأوطان ؛ بل هي طاقة نور يحمل مشعلها لهداية الإنسان ، فهي آمنة ، عيشها رغد يأتيها رزقها من كل مكان بإذن ربها ، لقد امتن عليها المنان الأعلى بالعيش الرغد والأمن الدائم فقال الله ﷻ ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ (1) . واسترجع الأيام بل السنين والقرون ، واصطحب صاحب الرسالة العصماء هذا النبي العربي ﷺ ، وهو مهاجر من وطنه، والذاكرة مليئة بالأحداث الجسام ، لم تزل نابضة أمامه ، وكأنها وليدة اللحظة ، فمكة شهدت الميلاد الشريف ، وذكريات الطفولة مع أمه آمنة بنت وهب(2) – عقيلة قريش – ، وكيف كانت تحنوعليه في صغره ، وتفيض عليه من برها وحنانها، وتقص عليه من قصص ذكرياتها الجميلة مع أبيه عبد الله(3)؛ كلما أخذه الحنين

(1) قريش الآية 4.

(2) آمِنَة بنت وَهْب بن عبد مناف (000 – 45 ق هـ = 000 – 575 م) من قريش: أم النبي ﷺ كانت أفضل امرأة في قريش نسبا ومكانة. امتازت بالذكاء وحسن البيان. رباها عمها وهيب بن عبد مناف. وتزوجها عبد الله بن عبد المطلب فحملت منه بمحمد ﷺ ورحل عبد الله بتجارة إلى غزة فلما كان في المدينة عائدا مرض فمات بها. الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م ج1ص26

(3) عَبْد الله الذَّبِيح (81 ق هـ – 53 ق هـ = 544 – 571 م) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو قثم الهاشمي القرشي : والد رسول الله . ولد بمكة، وهو أصغر أبناء عبد المطلب. وكان أبوه قد نذر لئن ولد له عشرة أبناء وشبوا في حياته لينحرن أحدهم عند الكعبة، فشب له عشرة، فذهب بهم إلى هبل فضربت القداح بينهم، فخرجت على عبد الله ، وكان أحبهم إليه ففداه بمئة من الإبل، الأعلام ج4ص100

للسؤال عن أبيه، وكيف كانت حياتها الباقية بعده ماضية على ما ترك لها عبد الله من الذكريات الجميلة ، تسري داخل نفسها بفيض من المرارة ، وكيف أن المنان قذف في قلبها صبرا تقاوم به ما بقي لها من عمر، فكانت تبث في صغيرها من المحبة ، وتخفض له من جناح الرحمة ما يعوضه عن فقد أبيه الذبيح الثاني[1] لآل إبراهيم عليه السلام الذي رحل عن عالمها ، ولم يزل صغيرها جنينا في أحشائها .

فلم تزل تلك الصورة للأم الثكلى عالقة بذهنه ؛ عندما أخذها الحنين لزيارة زوجها عبد الله أبيه ؛ صحبته معها ممسكة بيمينه ، تأخذ من رجولته مأمنا لضعف أنوثتها في رحلتها بالصحراء المترامية الأطراف؛ لما كان يحمل في طفولته من حميد الخصال تميزه عن أقرانه آنذاك، كما صحبت معها في رحلتها بركة الحبشية [2] تلك الجارية المباركة التي ورثتها عن زوجها عبد الله؛ وكانت تكنى بأم أيمن، وعند عودتها بالأبواء بين مكة والمدينة، أحست بأن هناك الآما تسري داخل جسدها الطاهر، تشعر معه بغروب شمسها عن عالم صغيرها ، فكانت لصغيرها شمسه التي تدفئ عليه في تنفس الصبح ، وكان صغيرها لها هو العالم من حولها ، ولكن نداء حاصد الآجال كان أقرب وأسرع من أي نداء، فتمسك بيد وحيدها، وتنظر إليه، بعد أن أيقنت أن لحظة الغروب دنت، وأوراق العمر سقطت، ولم يبق

(1) يشير الباحث إلى الحديث الشريف : «أنا ابن الذبيحين» إذ لا خلاف أنه من ولد إسماعيل وأن الذبيح الآخر أبوه عبد الله بن عبد المطلب المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية – بيروت : الأولى، 1411 – 1990ج2ص609ح4048.

(2) أم أيمن بركة الحبشية حاضنة رسول الله ﷺ وكان ورثها من أبيه فلما كبر اعتقها وزوجها زيد بن حارثة الوافي بالوفيات المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث – بيروت عام النشر:1420هـ- 2000م ج1ص63.

منها غير لحظات معدودات ، وقنديل العمر عما قليل سوف ينطفئ ؛ لأن قطرات زيته أوشكت أن تتلاشى وتفنى، وأن خريف العمر أذن لها بالرحيل، فأبصرته بعبرات المودع وخاطبته : كن رجلا يا محمد ﷺ ، ولفظت أنفاسها الأخيرة ، وهي متعلقة به شاخصة النظر إلى براءة ملامح طفولته ، ووارى الطفل اليتيم الثرى على جثمان أمه الطاهر، والدموع تترقرق في عينيه على فراقها ، والحزن يكاد أن يخلع قلب بركة جزعة على فراق تلك السيدة المباركة التي كانت تنزلها منها منزلة الأخت والصديقة في حياتها، تنظر إلى سيدتها ولا تدري عن مصيرها القادم شيئا ، لا تريد أن تبرح المكان ، تنظر إلى هذا الطفل اليتيم ، والألم يعتصر كبدها ، وتتماسك شيئا فشيئا، والعبرة تذرف على وجنتيها ، وترى أن خريف الحياة الحزين أحاط به من كل جانب ، وتتساقط أوراق الأحبة من حوله حينا بعد حين، فتمسك بيديه عازمة على الرحيل والأوبة ؛ وخواطر كثيرة تعبر أفقها وتسأل نفسها : ماذا هي قائلة لهؤلاء الذين ينتظرون عودة تلك السيدة المباركة ؟ بماذا تجيب ؟ تنظر إلى الطفل اليتيم نظرات تخفي عما بداخلها من ألم ؟ تحاول أن تتماسك ؛ تبث الأمل من جديد في فؤاده ، وأصبح فؤادها فارغا إن كادت لتهوي به لولا أن ربط الله على قلبها ، لسان حالها يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾[1] ، والصمت يسود الأجواء ، وينظر إليها صاحبها في رحلتها الأليمة ، وهي في ذهول لم تفق منه بعد ، ويقول لها وعبرة جمدت في عينيه: « أنت أمي بعد أمي»[2].

مشيناها خطى كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطى مشاها

ومن كانت منيته بأرض يموت ... فليس يموت بأرض سواها

وعاد اليتيم إلى وطنه حزينا وحيدا غريبا من جديد في تلك الحياة ، يعيش في

(1) سورة مريم 23

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروتالطبعة: الثانية، 1392ج16ص9 .

غمرة الأيام الخوالي ، يسترجع مشاهدها المؤلمة، فهو لم ير أباه قط ؛ وكلما أخذه الشوق والحنين إليه أسرع إلى أمه فتقص عليه من قصص حياته ونبل صفاته ، وكرم سجاياه ، فكانت أمه له ربيعا يحيا معها فيه في جميل الذكرى الغالية .

أما اليوم يقضي سحابة نهاره في خريف مرارة الذكريات ، ويسهر ليله وحيدا شريدا ، ضاق أمامه فضاء الطفولة الرحب الواسع ، يحيا مع نبرة صوتها الذي لم يزل عالقا في أذنيه ، ونزيف الدمع لم يجف بعد ، كلما اشتاق إليها ، وأخذه الحنين زارها فبكى ، وأبكى من حوله(1).

وقلبي معه وذكريات رعاية الجد عبد المطلب بن هاشم(2)، وهو آنذاك سيد بني هاشم ، بل سيد قريش كلها ، يعظمه قومه، وتهابه العامة، ويصغى إليه العقلاء، ويشاوره أهل الحل والعقد، وما حادثة الفيل ببعيد عندما خاطب أبرهة (3) قائلا له:إن للبيت ربا يحميه(4) ، وعلى الرغم من هيبته فتراه يخفض جناح الذل من

(1) صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ج2ص671ح 976.

(2) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث 127 ق هـ – 45 ق هـ = نحو 500 – 579 م : زعيم قريش في الجاهلية ، وأحد سادات العرب ومقدميهم . مولده في المدينة ومنشأه بمكة .كان عاقلا، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب ، أحبه قومه ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة . الاعلام ج4ص154.

(3) أبرهة الأشرم كان بنى باليمن كنيسة يقال لها القليس، وأراد أن يصرف حج الناس إليها؛ فخرج رجل من كنانة فأحدث فيها؛ فغضب أبرهة وحلف ليسيرن إلى بيت العرب فيهدمه ؛ فلما وجهوا الفيل للكعبة ، امتنع من ذلك حتى وخزوه بالأسنة ، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة : يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: 874هـ) المحقق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ج1ص9.

(4) السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) المحقق: طه عبد الرءوف سعد الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة ج1ص44.

الرحمة لحفيده المكلوم ، ويقدمه في مجلسه هناك في أندية مجالس قريش .

يذكر المؤرخون : كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له؛ فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام ، حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني ، فوالله إن له لشأنا ، ثم يجلسه معه على الفراش ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع (1).

فعبد المطلب وبالرغم من السنوات الست التي مضت على فقد ريحانة فؤاده عبد الله ، إلا إنه لم يزل يحيا في هذا الجرح الكبير وحده ، وقلبه لم يزل يسيل دما لا دمعا حزنا على فراقه ، فهو ينظر إلى حفيده لا يطيق فراقه ، يستمد الإبتسامة من طلعته ، تلك الإبتسامة التي غابت عن ملامح وجهه منذ رحيل ولده هذا الرحيل أورث تلك الملامح العبوس والنفس الشرود ، فأصبح هذا اليتيم أنسه في الحياة لا يفارقه ليلا عند منامه ، أو نهارا عند مباشرة أعماله ، فكان هذا اليتيم عوضا له عن أبيه ، يغمره بحبه، يسكب في فؤاده من الفرح ، والإبتسام ما يهون عليه وحدته وكلمه على فقد أبويه .

لقد أصبح هذا اليتيم الإمتداد العاطفي لجده ، إنه قمر بني هاشم ؛ بل قمر العالم بأسره ، وكأن القدر كتب على آل إبراهيم عليه السلام يعقوب عليه السلام جديدا ؛ فيعقوب عليه السلام أثخنته الجراح في فقد يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن ، فهو كظيم ، ولكن البون بينهما بعيد جدا ؛ فيوسف لم يزل على قيد الحياة ، يتنفس هواءها ، ويستدفئ شمسها ، والأمل في لقائه باق ، ورؤياه لابد من تحقيقها ، أما عبد الله فهو رفات تحت الثرى ، ينادي عليه كل تنفس صبح ، وهو على يقين أن هذا النداء ليس له

(1) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: 581هـ) المحقق : عمر عبد السلام السلامي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م ج2ص120.

صدى ، وأنه ينادي بواد سحيق ، وأن عبد الله لن يعود، لا يدري أن الناعي الذي جاء بهذا الخبر المنكوب منذ سنوات خلت، سوف يسلب منه الفؤاد ، ويترك آنينا وجرحا ثائرا مهما أتت عليه الأيام تزيده اشتعالا ، فهذا اليتيم أعاد له النور الذي انطفى ، والبدر الذي أفل ، ولكن الرياح لا تأتي بما تشتهي السفن، وكأن هامس همس بداخله أن قمره الذي كان ينير ليل حفيده دنى من المغيب ، ولابد من الأوبة إلى فلكه، وإن السهم الضوئي الذي انطلق من الفلك الأعلى ليعتني بصاحب الرسالة أدى دوره على أكمل وجه ، ولابد له من الأفول والعودة إلى الفضاء ؛ ليكمل صاحب الرسالة الرحلة مع نجم آخر يحيطه بالرعاية كي يكتمل بدره ؛ ليضئ للإنسان ظلمته الحالكة، وأن هذا الطائر الذي ظل عمره يذود عن أفراخه محلقا في فضاء واسع مليئ بالأخطار اقترب من رحلته الأخيرة ، وهذا الجسد الذي أعياه الحزن دهرا آن له أن يستريح ، فأراد أن يمرح هذا اليتيم في عاطفة جنباته في تلك السويعات الباقية من شمسه الأصيل، فهو لا يدري ، ماذا يخبأ له القدر غدا عندما يرحل مع الراحلين مع بلوغه أرذل العمر، ويتركه وحيدا في تلك الحياة ؟ هل ستظل الابتسامة تعلو قسمات وجهه ؟ أم تغيب مع أحداث المجهول الذي ينتظره ؟ وعندما أحس بالرمق الأخير أوصى بصغيره محمد ﷺ لأبي طالب[1] عمه .

فيبدأ الصغير رحلة جديدة في حياته بعد أن انتقلت الكفالة إلى بيت عمه أبي طالب ، وهو يومئذ من أشرف رجالات مكة ، وأعظمهم مكانة ، وأكرمهم نفسا ، وأقربهم رحما ، ورث عن أبيه الهيبة والمكانة في قومه ، قذف الله حب الصغير في قلبه ، فزاد عن حبه لأولاده .

(1) أبوطالب (85 ق هـ - 3 ق هـ = 540 - 620 م) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، من قريش ، : والد علي - ﷺ - وعم النبي ﷺ وكافله ومربيه ومناصره . كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم ، ومن الخطباء العقلاء . وله تجارة كسائر قريش . نشأ النبي ﷺ في بيته ، وسافر معه إلى الشام في صباه . ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام هم أقرباؤه (بنو قريش) بقتله ، فحماه أبو طالب وصدهم عنه .الاعلام ج4 ص166.

يذكر أهل السير والتراجم : أن أبا طالب كان يقدمه على أبنائه في طعامه ومجلسه ويخصه عنهم ، فلا يضع اللقمة في فيه قبله ، يحنو عليه إذا قرب ، ويفتقده إذا بعد ، فلا يهدأ إلى فراشه إلا كان بجواره ملاصقا له كسالف عهده بأبيه عبد المطلب ، يمده من عاطفة المودة ما يستدفئ به وحشة الليالي ، ولا يبرحه إن خرج من بيته (1).

أبو طالب معدن نفيس في دنيا الناس ندر أن يأتي الزمان به ، يتسم بكثير من الصفات العربية الأصيلة ؛ النخوة والمروءة والرحمة والحسم والهيبة ، وبالرغم من كونه قليل المال كثير العيال ، إلا إنه كان عظيم النفس عفيفا سخيا، كان لا يطيب له السير إلا مع ولده اليتيم حتى اشتهر رسول الله ﷺ بأنه يتيم أبي طالب ، ولم تكن السيدة فاطمة بنت أسد(2) زوجه أقل منه مروءة وحبا لهذا اليتيم ، فتجدها تتعهده في مآكله ومشربه وملبسه ونظافته الشخصية ؛ تقدمه على أولادها .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ(3)، قال: قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا فَقَالَ: رَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّي، كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، وتُشْبِعِينِي وتَعْرَيْنَ، وتُكْسِينِي، وتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّبًا،

(1) البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمربن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد : دارالمعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان النشر: 1395 هـ – 1976 م ج ص242.

(2) فاطمة الهاشمية (000 – نحو 5 هـ = 000 – نحو 626 م) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية: أول هاشمية ولدت خليفة . وهي أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . نشأت في الجاهلية بمكة. وتزوجت بأبي طالب (عبد مناف ابن عبد المطلب) . الاعلام ج5 ص130.

(3) أَنَس بن مالِك (10 ق هـ – 93 هـ = 612 – 712 م) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري ، أبو ثمامة، أو أبو حمزة: صاحب رسول الله ﷺوخادمه. روى عنه رجال الحديث 2286 حديثا. مولده بالمدينة وأسلم صغيرا وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض. الأعلام ج2ص25.

وتُطْعِمِينِي تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ »[1] .

ولم يزل حديث الذكريات يحيط برسول الله ﷺ ، وتتراءى لنا الذكريات إلى تدفق قلبه مع ورقاء قريش خديجة بنت خويلد[2]أنضر غصون زهور قريش تفتحا وجمالا ، وأعز نسائها نسبا، وأكثرهن ثروة ومالا، وأكرمهن خلقا وأدبا « أول امرأة تزوجها رسول الله – ﷺ – في الجاهلية ، فولدت لرسول الله – ﷺ – القاسم[3]وبه كان يكنى والطاهر[4] وزينب[5].

(1) المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) المحقق حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية ج24ص351.

(2) أُمّ المُؤْمِنِين (68 – 3 ق هـ = 556 – 620 م) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش: زوجة رسول الله ﷺ الأولى، وكانت أسنّ منه بخمس عشرة سنة. ولدت بمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، ومات أبوها يوم الفجار، وتزوجت ب أبي هالة بن زرارة التميمي فمات عنها. وكانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام. الأعلام ج2ص302.

(3) القاسم بن رسول الله بكر ولده وبه كان يكنى أبا القاسم وهو أول ميت من ولده بمكة قال مجاهد : مات وله سبعة أيام قال الزهري : وهو ابن سنتين قال قتادة : عاش حتى مشى. تاريخ دمشق : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: 1415 هـ – 1995 م ج3ص132.

(4) عبد الله وهو الطيب والطاهر. سمي بذلك لأنه ولد في الإسلام. فمات القاسم. وهو أول ميت من ولده –ﷺ – بمكة . ثم مات عبد الله ؛ فقال العاص بن وائل : لقد انقطع نسله فهو أبتر. فأنزل الله : «إن شانئك هو الأبتر» الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت : 230هـ) ت: محمد عبد القادر عطا : دار الكتب العلمية بيروت:الأولى، 1410 هـ– 1990 م ج3ص4.

(5) زينب بِنْت رَسُول اللَّهِ ﷺ.هي أكبر بناته، ولدت ولرسول الله ﷺ ثلاثون سنة ، وماتت سنة ثمان في حياة رسول الله : وأمها خديجة بنت خويلد بن أسلم . وقد شذ من لا اعتبار به أنها لم تكن أكبر بناته . أسد الغابة : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد=

ورقية (□) وأم كلثوم(□)، وفاطمة(□)رضي الله عنهم(□)كانت تلك الذكريات تتدفق أمامه كأنها وليدة الأمس ، ينظر رسول الله ﷺ إلى مكة ، وهو يودعها والدموع تذرف من عينيه ، يردد دعاءه الشهير الذي رواه ابْنِ عُمَرَ(□)ﷺ عن

=الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ) : دار الفكر – بيروت النشر: 1409هـ – 1989م ج6ص130

(1) رقية بنت رسول الله ﷺ. وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. كان تزوجها عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل النبوة . فلما بعث رسول الله ﷺ. وأنزل الله : « تبت يدا أبي لهب» المسد : قال له أبوه أبو لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته . ففارقها ولم يكن دخل بها. وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد وبايعت رسول الله ﷺ . هي وأخواتها حين بايعه النساء . وتزوجها عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعا . الطبقات الكبرى ج8ص29.

(2) أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ.وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي. تزوجها عتيبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل النبوة. فلما بعث رسول الله ﷺ وأنزل الله «تبت يدا أبي لهب» المسد: 1 قال له أبوه أبو لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته. ففارقها ولم يكن دخل بها. فلم تزل بمكة مع رسول الله وأسلمت حين أسلمت أمها وبايعت رسول الله مع أخواتها حين بايعه النساء وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول الله . الطبقات الكبرى ج8ص31.

(3) فاطِمَة الزَّهْرَاء(18 ق هـ – 11 هـ = 605 – 632 م) فاطمة بنت رسول الله ﷺ . ابن عبد الله بن عبد المطلب ، الهاشمية القرشية ، وأمها خديجة بنت خويلد : من نابهات قريش . وإحدى الفصيحات العاقلات. تزوجها أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب في الثامنة عشرة من عمرها ، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب. وعاشت بعد أبيها ستة أشهر. وهي أول من جعل له النعش في الإسلام ، عملته لها أسماء بنت عميس، وكانت قد رأته يصنع في الحبشة . الأعلام ج5ص13.

(4) السنن الكبرى : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ – 2003 م ج7ص111ح13423.

(5) عَبْد الله بن عُمَر (10 ق هـ – 73 هـ = 613 – 692 م) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. كان جريئا جهيرا. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه ، وشهد فتح مكة. ومولده ووفاته فيها. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة. ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى . وغزا إفريقية مرتين : الأولى مع ابن أَبي سَرْح ، والثانية مع معاوية بن حديج سنة 34 هـ وكف بصره في آخر حياته. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. الأعلام ج4ص108.

رَسُول اللهِ ﷺ أنه قال : « **قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَكَّةُ ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ ، اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا مِنْ حُبِّ الْمَدِينَةِ مِثْلَ مَا جَعَلْتَ فِي قُلُوبِنَا مِنْ حُبِّ مَكَّةَ** »(1) ، فالهجرة النبوية ليست فرارا من الموت ، بل هي إبقاء على النبتة التي غرسها رسول الله ﷺ ، والحفاظ على شجرة التوحيد حتى يعم ظلالها الإنسانية ، وبناء أعظم دولة للإنسان ، تنطلق منها القيم السامية الراقية التي تخرج الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد

يروي لنا التاريخ مشهدا نبيلا لصحابي من صحابة رسول الله ﷺ يجسد فيه تعاليم الرسالة السمحة ، ومقاصدها النبيلة ، وغايتها الراقية ،هذا الصحابي ربعي بن عامر(2) ﷺ عندما دخل علي رستم قائد الفرس ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهروا اليواقيت واللآلئ الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه . فقالوا له : ضع سلاحك . فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت . فقال رستم : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله . قالوا : وما موعود الله ؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي .(3)

(1) المعجم الكبير: ج12ص361ح13347.

(2) **ربعي بن عامر أدرك النبي ﷺوشهد فتح دمشق ثم خرج إلى القادسية مع هاشم بن عتبة وشهد فتوح خراسان تاريخ دمشق : ج18ص50ح2138.**

(3) البداية والنهاية ج7ص39